الفصل السابع عشر

الخطب[1]

أولاً: تجديد خطبة الجمعة ضرورة تمليها تطورات المجتمع[2]

تعتبر خطبة الجمعة أحد أهم الشعائر الإسلامية الأساسية والدينية بالإضافة إلى صلاتها ولذلك جعلت صلاة الجمعة ركعتين لتقوم الخطبة مقام الركعتين الأخريين من صلاة الظهر، ولأهميتها أيضاً كان الاستماع واجباً ومنع التكلم أثناء خطبة الجمعة حرصاً على الاستفادة مما يرد فيها، حتى ورد في الحديث الشريف: «من تكلم في صلاة الجمعة والإمام يخطب فقد لغى» يعني بطلت صلاته وخطبته.

وأضاف د. الزحيلي: إن النبي ﷺ حرص حرصاً شديداً على استماع المسلم للخطبة فرغب بالتبكير لها، والإسلام سبق العالم أجمع في فرضه لخطبة الجمعة أسبوعياً وقصد بذلك تعليم العامة أمور وأحكام دينهم وكل ما يهمهم اجتماعياً وثقافياً وشرعياً ولذلك فإن المسلم في التاريخ الإسلامي وإن كان أمياً إلا أنه بسبب حضوره للخطبة يعتبر مثقفاً إسلامياً وعالماً ومدركاً لكثير من أحكام دينه.

---

(١) للمزيد في ذلك ينظر: خطبة استقبال رمضان = فصل ٢٠ مناسبات، وقد ألقيت خطبة الجمعة مرة في الشهر بدير عطية، ثم في جامعة الشارقة، وفي أمريكا، وغيرها، وعندي أكثر من مائة خطبة، ولكني لم أنسقها للطباعة والنشر.

(٢) الضياء العدد ٨٠- يناير ٢٠٠٤م/ ذو القعدة ١٤٢٤هـ.

◈ تحديات كبيرة:

ويرى د. الزحيلي أن خطبة الجمعة بشكل خاص والخطاب الديني بشكل عام هما أمام تحديات كبيرة وفي أزمة حقيقية فالعالم الإسلامي أمام مفترق دولي تتقاذفه الأنواء وهو بحاله الراهنة غير قادر على التعامل مع بعض المعطيات وإن كنا لا نسلم بهذا في عامة المساجد والمنابر إلا أنه موجود في بعضها.

وعن سلبيات بعض الخطباء يقول د. الزحيلي: الخطباء على مستويات ثلاثة: فهناك المفكرون والعلماء وأساتذة الجامعات وهؤلاء يجتنبون ما يمكن أن يصدر من غيرهم من سلبيات، وهناك فئة متوسطة الثقافة وتتولى خطب الجمعة وهناك فئة ثالثة ضعيفة الأداء والمعلومات ممتهنة وهي لرفع المسئولية عن الإنسان ولمجرد التكسب وكثير منهم لا يحمل شهادة ولا تأهيلاً. فالفئة الثانية والثالثة نرى أنهم يتكلمون عن مواضيع بعيدة ومنفصلة عن الواقع ويركزون على الشكليات وترى جل خطبهم منصباً على الترغيب فقط أو الترهيب فقط في حين يجب أن يكون هناك توازن بين الترغيب والترهيب ولا ينبغي التركيز على واحد منهما دون الآخر. ونلاحظ كذلك انتقاداً لحضارة الغرب وهجوماً كاسحاً عليها في حين نراهم يتعاملون مع إفرازاتها، ومنهم من يطيل الخطبة في غير ما فائدة حتى يشعر الحضور بالملل فينفرون وتنعدم الفائدة.

لذلك يرى الدكتور الزحيلي أنه ينبغي الارتقاء بأداء الخطيب من خلال التحاقه بدورات تأهيلية ترقى به إلى مستويات يستطيع معها الإفادة للحضور وأن تكون الخطبة موضوعية وعامة وليست في أحكام تفصيلية فهذه الأخيرة مكانها الدروس والمحاضرات وليس في خطبة الجمعة وكذلك يجب الحرص على إفادة شرائح الحضور جميعاً ففيهم الأستاذ وفيهم الأمي فعلى الخطيب أن تكون خطبته بسيطة وعميقة في آن واحد وهذا يميز الخطيب الناجح.

◈ ماذا نجدد؟

وحول التجديد في خطبة الجمعة يقول الدكتور الزحيلي: الإسلام قسمان: مبادئ وأسس وغايات وأهداف، ووسائل لتحقيق هذه الأهداف فأما القسم الأول فهو لا يقبل التجديد ولا يجوز تبديله وتغييره وهذا يدخل تحت بند التبديل فيقول ﷺ: «من أحدث من أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» والقيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام لا تتغير بتغير الزمان والمكان بل هي صالحة لكل زمان ومكان أما الأساليب فتخضع للتغيير بل يجب فيها التجديد بحسب الزمان والمكان والتطور والمستويات، فالتجديد ينبغي أن يكون بحسب المعطيات المعاصرة والتقنيات فلا مانع مثلاً أن تقترن خطبة الجمعة بوسائل إيضاح وصور تمثل ما يطالب به الخطيب قياساً على المدارس فالوسائل المعينة تعتبر ركناً أساسياً في تقبل المتلقين وفهمهم للمعلومة، فلماذا لا يكون في المساجد لوحات إلكترونية للصور والمواضيع التي يريد الخطيب إيصالها وتفهيمها للناس ولماذا لا تدخل الآلات الحديثة كالتلفزيون والحاسوب والكاميرا إلى المسجد، فالمسجد في التاريخ الإسلامي لم يكن مكاناً للعبادة فقط بل كان يضطلع بأدوار اجتماعية وثقافية وفكرية والمسجد بهذا المعنى ارتقى بالأقليات المسلمة في بعض البلدان الغربية حتى أصبح يمثل مركزاً يضم بين جنباته المكاتب وقاعات المحاضرات والجامعات وغير ذلك.

ويلخص الدكتور الزحيلي أساليب الارتقاء بخطبة الجمعة فيقول: أولاً يجب إعطاء المسجد وظيفته الشرعية الإسلامية الكاملة ثم إقامة دورات تأهيلية للأئمة والخطباء يكونون معها قادرين على التعامل مع متطلبات العصر وتحدياته، وعقد جلسات تشاورية بين الأئمة والخطباء للتنسيق فيما بينهم حول المواضيع الفكرية والاجتماعية والثقافية، والحمد لله رب العالمين.

ثانياً: الشكوى والابتلاء[1]

◈ مقدمة:

نتناول في هذا المجال مرضاً اجتماعياً متفشياً بين الناس، وهو مرض الشكوى، والنطق به، والتحدث عنه.

إنه مرض نفسي خطير، وله صلة بالعقيدة والإيمان، وينتج عنه نتائج وخيمة أو سيئة، وله سبب عجيب، والشكوى: إظهار البث والحزن والألم، ويقال: أشكاه: أي أزال شكايته[2].

والمرض هو الشكوى التي تصدر عن الناس في كل وقت، وفي كل حين، وفي كل مجلس، وفي كل اجتماع، وكلما التقيت شخصاً أو فئة أو جماعة أو أصحاب مهنة وجدت الشكوى، وسمعت ألوان الشكوى وهي:

١- الشكوى من الجسم والمرض والصحة والعافية، فالمريض يشكو، ثم يشكو الصحيح أيضاً، وقد يكون أكثر شكوى من المريض.

٢- الشكوى من شح المال وقلة الكسب وضيق الرزق، وسدّ الأبواب أمام المتكلم، الفقير يشكو، والغني يشكو، والموظف يشكو ثم يشكو التاجر، ويشكو العامل، ويشكو رب العمل، ويشكو صاحب المهنة والحرفة.

٣- الشكوى من الأوضاع الاجتماعية، فقد يشكو الشخص من زوجته، ومن أولاده، ومن أبويه أو أقاربه وأهله، والطالب يشكو، والمعلم يشكو، والمدير يشكو، والعالم يشكو، ورب العمل يشكو.

---

(١) خطبة جمعة في مسجد الإيمان بدير عطية، في ١٤٢٥/٧/٢٢هـ- الموافق ٢٠٠٤/٧/٩م.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٢٦٦.

٤- الشكوى من الأوضاع العامة في أي بلد كنت: بلد الإقامة أو السفر والغربة، بلد الإسلام أو دار الكفر، فالمقيم يشكو، والمسافر يشكو، والمغترب يشكو، والمواطن يشكو.

٥- الشكوى من الأوضاع الدولية بين الدول، أو العلاقات الدولية العامة.

وما أحسن ما قاله الشاعر الحكيم:

كل من تلقاه يـــشكو دهـــره ليت شعري هذه الدنيا لمـــن؟

فما دامت الشكوى قائمة من الجميع، فلمن هذه الخيرات الجمة والنعم التي لا تحصى في الدنيا والحياة؟

◈ صلة الشكوى بالعقيدة والإيمان:

هذا المرض له صلة بالعقيدة، وكثيراً لا يقصدها المشتكي، ولكن قد يقصدها أحياناً ويريدها، وهو أن الشكوى اعتراض على القدر، واعتراض على الله تعالى في تصريف الأمور، واعتراض على الله في الابتلاء وتقتير الرزق، وإنزول المرض، وسوء الاختيار للخلق والطبيعة والفطرة للفرد وللجماعة وللعلاقات الاجتماعية.

فكثير من الشاكين المسلمين المؤمنين لا يقصدون هذا المعنى الخطير الذي يؤدي —والعياذ بالله- إلى الكفر، واتهام الباري الخالق، والاعتراض على القدر المحتوم، والانزعاج من التدبير الإلهي للكون والحياة والإنسان.

وقد يقصد بعض الناس ذلك إما بحسن نية دون التفكير بهذه المعاني المكفرة، وإما هزواً وسخرياً عن طيب قلب في غير محله، وقد يقصد فريق هذا المعنى، فيقول الكلمة —لا يلقي لها بالاً تهوى به في جهنم سبعين خريفاً-.

◈ **أسباب الشكوى:**

أما أسباب الشكوى فترجع إلى أمرين أساسيين:

الأول: الجهل بحقيقة الدنيا، والحياة التي نعيشها، فيظن كثير من الناس أن الدنيا متع وترف، ورفاهية وسعادة، وصحة وغنى، وطيبات وملذات.

ويتصور الكثيرون أن الدنيا جنَّة لا لغو فيها ولا رفث، وكأنهم في كوكب سماوي آخر، وليس على الكرة الأرضية.

الثاني: الجهل بأحد المبادئ الإسلامية الأساسية، والتصورات الشرعية عن الكون والحياة والإنسان وهو الابتلاء، الذي يدفع للشكوى، والابتلاء هو الطريق لمعرفة حقيقة الشيء، وسمي الغم بلاء، لأنه يبلي الجسم، وسمي التكليف بلاء؛ لأن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت بلاء، أو لأنها اختبارات، أو لأن الله تعالى يختبر الإنسان تارة بالمسرات، ليشكر، وتارة بالمضار ليصبر، فصارت المحنة والمنحة جميعاً ابتلاء مقتضية للشكر، ولأن القيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين، قال عمر ﷺ: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر، وإذا قيل ابتلي فلان، فيتضمن تعرف حاله والوقوف على ما يُجهل من أمره، وظهور جودته ورداءته[1].

فالدنيا دار ابتلاء، ودار اختبار للإنسان، ودار امتحان في الحياة، فالله خلق الإنسان وفيه عنصر الخير والشر، ثم وضعه أمام الطريقين ليختبر إيمانه وعمله قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٦١.

وقال تعالى في ثلاثة آيات متفرقة: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، [الأعراف: ١٤١]، [إبراهيم: ٦]، وعرض عز وجل بيان طبيعة الحياة الدنيا في الكرة الأرضية، فقال تعالى في [سورة الكهف: ٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وأكد الله تعالى ذلك فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠].

وبيّن تعالى أحد أوصاف الحياة في الدنيا، وما فيها من موت، مبتدئاً بالثناء على نفسه وعلى خلقه وملكه، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

فالدنيا بحقيقتها، وتكوينها، وخلقها الذي خلقها الله عليها، فيها الحلو والمر، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والشباب والشيخوخة، ونعمة الأولاد والحرمان منهم، وفيها الرفاه والسعادة، وفيها الشقاء والتعاسة، وفيها الطفل والشاب والشيخ والهرم، وفيها من يقصف عمره فيموت طفلاً أو في ريعان الشباب، أو شيخاً، ومنهم من يرتد إلى أرذل العمر، فيشيخ ويهرم ويفقد السمع والبصر، والقوة والصحة، وعدم القدرة على القيام أو الجلوس أو النوم الهنيء.

وهذا الكلام ليس فلسفة، ولا خيالاً، ولا مجرد وصف للواقع والحياة، بل هذا هو التصور الإسلامي الصحيح الدقيق عن الحياة والكون والإنسان.

هذا هو التصور الذي يجب وجوباً شرعياً أن يعرفه المسلم، وإلا كان ضعيف الإيمان، أو وقع في سخط الله، سواء كان يدري أم لا يدري، أو وقع

في الكفر والاعتراض على القدر والخالق والعياذ بالله، أو كان جاهلاً بحقيقة الحياة، وجاهلاً بالمنهج الإسلامي وتصوره.

قال تعالى عن أطوار حياة الإنسان وما يعتريه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [الحج: ٥].

فالخطاب للناس جميعاً، مسلمين وغير مسلمين، لبيان أطوار الخلق، ثم لبيان مراحل العمر.

وبيَّن القرآن الكريم -مع التأكيد- وجود الابتلاء، فقال تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. واللام للتأكيد، وهو تأكيد من الله تعالى خالق الكون والإنسان.

وفي مجال صور الابتلاء قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

◈ الهدف والغاية من الابتلاء:

قال تعالى في بيان الهدف والغاية من الابتلاء للأمة عامة: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى في بيان الابتلاء للأفراد حسب الطبقات والأحوال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

◈ أنواع الابتلاء:

يكون الابتلاء بالخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

نعم إن الخير ابتلاء ليختبر الله تعالى عبده، هل يستعمل ما أنعم الله عليه من النعم التي لا تحصى في مرضاته، وفيما خلقت أو وجدت من أجله.

فالصحة نعمة وابتلاء، والزوجة نعمة وابتلاء، والزوج نعمة وابتلاء، والأولاد نعمة وابتلاء، والمال نعمة وابتلاء، والسيارة نعمة وابتلاء، والبيت نعمة وابتلاء، وأنواع الطعام والشراب نعمة وابتلاء، والحياة نعمة وابتلاء، والشباب نعمة وابتلاء، وحتى الشيخوخة والهرم نعمة وابتلاء، والموت نعمة وابتلاء.

والمصائب نعمة وابتلاء، فالمرض نعمة لمن يعرفها وما يحققه للجسم من مناعة، وتحريض الكريات البيض للمقاومة، وهو ابتلاء في الألم.

والفقر نعمة وابتلاء..، والفراغ وقلة العمل نعمة وابتلاء، والتقتير في الرزق والمال نعمة وابتلاء.

وانعدام الولد نعمة وابتلاء، وقلة العمل نعمة وابتلاء..

◈ نتائج الشكوى والابتلاء:

١- يجب التقليل في الشكوى، وأن تنحصر الشكوى لله تعالى، فلا يشتكي المرء إلا لله، ولا يتحسر على شيء إلا لله الخالق البارئ المعطي، السميع المجيب، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

٢- أن يحذر الإنسان في السر والعلن، وفي قلبه وعلى لسانه، من كون الشكوى اعتراضاً على الخالق الذي يبتلي عبده بالخير والشر، أو أنها حسرة، أو أنها اعتراض على القضاء والقدر.

٣- أن لا يقترن مع الشكوى مهما كانت حسد لغير المبتلى ظاهراً بشيء، فالكفيف لا يشكو العمى ليحسد المبصر؛ لأن المبصر مبتلى بغير البصر، والفقير لا يشكو الفقر، ليحسد الغني؛ لأنه مبتلى بغير ذلك، والموظف لا يشكو التاجر أو العامل ليحسده على عمله، فهو في بلاء كبير، والعاقر عديم الأولاد لا يشكو من قلة الأولاد ليحسد ذوي الأولاد؛ لأن الولد بلوى وقد يكون سبباً للشقاء لنفسه ولأهله، وإنما علمنا رسول الله ﷺ أن نقول عند رؤية البلاء في الآخرين: الحمد لله الذي عافانا من كثير مما ابتلى به خلقه.

٤- الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره، وأن كل شيء من عند الله تعالى سواء كان خيراً أو شراً، وهذا يزيد الإيمان، ويرفع الروح المعنوية للمبتلى، ويساعده على الراحة النفسية، ثم السعي لتجاوز البلوى.

٥- الشكر الدائم لله تعالى حتى على البلوى، سواء كان الابتلاء بالخير أو بالشر، فينال الشاكر أجر الشاكرين، وتدوم عليه نعمة الخير، ويفرج الله عنه بلوى الشر، ويصبر على الشر، فيكون له أجر الصابرين الذين يوفيهم الله أجرهم بغير حساب، ويبشر بالصبر والمصابرة.

٦- يجب على العاقل أن ينظر إلى مصيبة غيره فتهون عليه مصيبته، لأنه ما من ابتلاء أو مصيبة إلا يوجد أكبر منها وأشد، ومصائب الدنيا لا حصر لها، وقد تكون لمرة، وقد تتجاوز ذلك إلى مرتين ومرات، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، والعاقل من اعتبر بغيره، وأخذ العظة من سواه. والحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: الحث على التعليم الشرعي[1]

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٢].

وقد قام المحسنون وهل الخير ببذل الملايين لبناء هذا المسجد وتجديده، ليصبح قطعة فنية فاخرة، مع روعة البناء وجماله، فجزاهم الله خيراً، وأخلف الله عليهم ما بذلوه، وقد ثبت أجرهم عند الله قبل افتتاحه، فالصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع موضعها.

ولكن إعمار المساجد لا يقتصر على البناء الذي يمثل المرحلة الأولى فقط من الإعمار المقصود من الآية، ويمثل الجانب المادي الأولي فقط.

وإن إعمار المساجد المطلوب في الآية الكريمة يشمل أموراً كثيرة ومتعددة بحسب إعجاز القرآن وبيان الرسول له، وتحتاج هذه الأمور والأعمال إلى دروس ومحاضرات وخطب كثيرة، اكتفي بمثالين يتعلقات بالعنصر البشري للإعمار، وليس بالجانب المادي.

الأول: وهو لمجرد التذكير، وهو إعمار المسجد بالصلاة، وخاصة صلاة الجماعة المطلوبة التي ينادي إليها المؤذن كل يوم خمس مرات «حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح» فهل يستجب السامع لنداء الله ودعوته وأذانه وإعلامه؟ ما هي نسبة الاستجابة

---

(١) خطبة جمعة في مسجد القصاب بدير عطية، يوم ١٤٢٥/٦/١٢هـ - الموافق ٢٠٠٤/٧/٣٠م.

لصلاة الجماعة التي لا تزيد عن صف واحد أو صفين، ولا أريد التوسع في فضل صلاة الجماعة في المسجد، فالجميع يعرف ذلك، ولكنه لا ينفذ، ولذلك أردت التذكير فقط لانتقل إلى المثال الثاني الأهم.

المثال الثاني لإعمار المساجد: هو تهيئة الأئمة للمساجد، وإعداد الدعاة، والمدرسين، والمفتين والقائمين على شؤون المساجد، وهذا هو العنصر البشري المهم، وهو إعمار طويل الأجل، ويحتاج إلى بذل النفس والأولاد والأموال والصبر، إنه التعليم الشرعي. وعندما ندعو للعلم الشرعي والتعليم الشرعي لا أبخس بقية العلوم فضلها وأهميتها، وحرص الشرع والإسلام عليها، سواء في الطب والهندسة والصيدلة والكيمياء والفيزياء والرياضيات، والتاريخ والحقوق والآداب واللغة العربية خاصة، فكل هذه العلوم فروض كفاية في الإسلام، ويكسب صاحبها الأجر والثواب إن نوى وجه الله تعالى، وقام عن طريقها بخدمة الدين والإسلام إن قصد ذلك، وأن القائمين على الدعوة اليوم في أوروبا وأمريكا هم الأطباء والمهندسون والمخبريون ورجال الأعمال، وقل بينهم وجود العلماء في الشريعة.

ولكن أدعو للتعليم الشرعي لأن معظم الناس تزهد به، وإن عدد المتعلمين في الشريعة قليلون، ففي هذه البلدة يوجد المئات من الأطباء، والمهندسين، والصيادلة وغيرهم، بينما لا يتجاوز عدد المختصين بالشريعة عدد الأصابع، وإذا مشيت في شوارع دمشق وجدت آلاف الآرمات للأطباء والمهندسين والصيادلة والمخبرين، ولكن قلما تجد في الحي الواحد رجل علم وداعية.

إن المدارس العامة تغصّ بالطلاب وأعدادهم الوفيرة التي تعجز الدولة عن استيعابهم، وتخصص لهم المنح والبعثات الدراسية، بينما تبقى المقاعد في مدرسة العلوم الشرعية فارغة وقليلة العدد.

نعم يزهد الآباء والأهل والشباب عن التوجه لهذه المدرسة لتحصيل العلوم الشرعية وإلى كلية الشريعة، وخاصة الدراسات العليا التي تُعد المتخصصين أولاً، وتهيئ الباحثين والمجتهدين والدعاة وأئمة الدِّين مع أئمة المساجد والخطباء والوعاظ، نعم ينصرف الناس غالباً عن هذا المجال، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً (أي للجهاد أو لسائر أمور الحياة وينسوا دينهم) فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

كما وردت الأحاديث في ذلك، وهي كثيرة، ورسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» ودعا لابن عباس بذلك فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فكان حبر الأمة وترجمان القرآن.

يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «العلماء -أي في الشريعة والدِّين- ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر».

ويقول الرسول الحبيب ﷺ: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يفعل».

هذا العلم الشرعي الذي يبين الحلال والحرام، ومعرفة الأحكام، ويحتاجه كل الناس، بل إن البشرية بحاجة لعلوم السماء، والمدد الدِّيني لتهذيب النفوس، وتربيتها، وتعريفها بالحقيقة عن الله والكون والحياة والإنسان.

ولكن لنتساءل مباشرة وصراحة وحقيقة لماذا نوجّه أولادنا للمدارس وطلب العلم؟ ولندع الجانب الديني والطمع بالثواب والأجر والآخرة؟

إننا نطلب العلم من الناحية المادية لسببين رئيسيين؟

١- إما لكسب الرزق والمعيشة، ليحصل الطالب على شهادة وتخصص يعتمد عليها في الوظيفة وكسب القوت وتأمين المستقبل.

٢- وإما من أجل المكانة الاجتماعية، والمركز، والمنصب، والجاه.

أما الرزق -فإننا نعتقد- ديانة وإيماناً- أن الله تعالى قدّره للإنسان قبل أن يولد وهو في رحم أمه، سواء كان طبيباً أم مهندساً، أم أديباً، أم مؤرخاً، أم صيدلانياً، أم شاعراً، أم محامياً، أم موظفاً إدارياً، وسواء كان متعلماً أو غير متعلم في العمل والحرف وسائر الأعمال.

وإن التوسع في الرزق، أو التوسط فيه، أو التقليل منه، يتحقق لكل فئة وصنف ومهنة، فتجد في كل صنف الغني واسع الثراء، والمتوسط، والعادي المستور، فالأطباء فيهم الغني الثري واسع الدخل، وفيهم المتوسط، وفيهم العادي، وكذلك المحامون، والمهندسون والعمال، والمعلمون، وحتى التجار وأصحاب العمل منهم الأغنياء، ومنهم المتوسطون، ومنهم العاديون المستورون، وكذلك المشايخ والعلماء فيهم الأصناف والمستويات نفسها.

إذن فلا يصح أن يكون التوسع في الرزق سبباً لتفضيل علم على آخر، ووسيلة لاختيار علم دون آخر، وقد قال رسول الله ﷺ: «لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا بالطلب» أي ترفقوا وأحسنوا وتأدبوا مع الله تعالى، فالرزق آت لا محالة.

وبقيت المكانة الاجتماعية والمعنوية، فكلكم يعلم علم اليقين مكانة

علماء الدين، في المجتمع، وفي قلوب الناس، وأقصد طبعاً العلماء العاملين المخلصين وليسوا التجار بالدِّين أو المتخذين الدِّين مجرد وظيفة واكتساب.

وإن الناس تعلق قلوبهم وعيونهم بعلماء الدين في كل مناسبة في الأفراح والأحزان، وفي المناسبات الدينية والوطنية والاجتماعية، وعند الإصلاح بين الناس، فالعلماء يتصدرون المجالس، وترمقهم الأعين، ويستمع لهم الجميع، فلهم المكانة الأولى اجتماعياً وعلمياً.

والمطلوب منا في هذا المجال ثلاثة أمور:

أولاً: لقد ظهرت نتيجة الشهادة المتوسطة، وبدأ الأهل والطلبة الناجحون بالتفكير في التسجيل بالمدارس الثانوية العامة والمهنية، ومنها الشرعية.

ولذلك يجب أن نوجه أولادنا وفلذات أكبادنا لمدرسة العلوم الشرعية للطلاب، والطالبات، للفتية والفتيات.

ثانياً: وخلال اليومين القادمين ستصدر نتائج الشهادة الثانوية، ويجب أن نوجه أولادنا إلى كلية الشريعة، والمعاهد الشرعية، وكليات الشرعية وأصول الدين والجامعات الإسلامية في دمشق وغيرها، وعلى الشباب الناجحين الذين نهنئهم سلفاً أن يُيَمِّمُوا قلوبهم وعقولهم وأنفسهم لهذه الكليات والمعاهد، ليحظوا بخيري الدنيا والآخرة، وليكونوا ورثة الأنبياء، ويحملوا هذه الأمانة والرسالة التي حملها الأنبياء والمرسلون والأئمة والعلماء والدعاة قديماً وحديثاً، وسواء كان ذلك من الشباب والشابات، والطلاب والطالبات.

ثالثاً: نتوجه إلى الأغنياء والأثرياء وأصحاب الأموال مهما كانت قليلة أو متواضعة، أو وافرة، أن يوجهوا أموالهم للإنفاق على طلبة العلم الشرعي، ويتبنى كل منهم واحداً أو اثنين ينفق عليه حتى ينتهي من أعلى الشهادات الشرعية، وبذلك يكون قد عمرَّ ليس مسجداً فحسب، بل أشاد

وساهم في بناء داعية يعمّر المسجد حقيقة بالعلم والنور، ثم يهيئ الأجيال للدعوة لبناء المساجد، ويساهم في حمل الرسالة المحمدية.

وإن الإنفاق على المعاهد الشرعية، وطلاب العلم الشرعي لا يقل فضلاً وأجراً عن بناء المساجد، وقد يكون أفضل من بناء المسجد عند الحاجة واللزوم كما هو في واقعنا، وإن العالم أو الداعية الذي تبناه شخص بالإنفاق على علمه وإكمال تحصيله هو في صحيفة الغني الثري المنفق طوال حياته وبعد موته، ليكون له ذخراً وفخراً وثروة في آخرته.

ولا بد من أخذ الأمر جدياً، وأن نحرص على إعمار المساجد بالأئمة والدعاة والباحثين والمجتهدين، قبل أن يفوت الأوان، ويحل بنا القحط والجدب من العلماء، وحينئذ لا ينفع الندم، ولا تجدي الوسائل وهو ما حذّر منه رسول الله ﷺ سواء كان ذلك في قلة العلماء أو فقد العلماء، مما يؤدي للمأساة المروعة فقال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

إن آباءنا وأجدادنا لم يحملوا للعالم عندما فتحوه الحضارة المادية فحسب التي نتجت وحصلت تبعاً، بل حملوا لهم مشعل النور والهداية، ورسالة السماء، فحققت أمة إسلامية من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهو ما يقع على عاتق الأمة اليوم، إنقاذ البشرية من وهدة المادية والأنانية والنفعية والعنصرية، لتسود القيم الإنسانية، والمعاني الروحية السماوية، فيسعد الناس في الدنيا، ويحصلون على رضوان الله وجنته في الآخرة، إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب، وذكّر إن الذكرى تنفع المؤمنين، اللهم فاشهد، والحمد لله رب العالمين.

رابعاً: الاتحاد والتعاون[1]

لن أتكلم عن أحكام شرعية، ولا عن الفلسفة الإسلامية، ولا عن النظريات الفقهية، وإنما أتناول جملة واحدة، سورة صغيرة، يحفظها الكبار منذ عشرين وثلاثين أو خمسين وستين سنة، ويحفظها جميع أطفالنا في الروضة والمدارس الابتدائية والثانوية.

سورة يقول عنها الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «إن الناس أكثرهم في غفلة عنها» ويقول: «لو نزلت هذه السورة وحدها من السماء على الناس لكفتهم».

إنها سورة العصر التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

بدأت السورة بالقسم من الله تعالى بالعصر، وهو الوقت عامة، للدلالة على أهمية الوقت عند الله تعالى، وفي الإسلام، فالوقت هو الحياة، أو أن القسم بصلاة العصر ووقتها للدلالة على فضلها وأهميتها، وأنها الصلاة الوسطى التي أمر الله تعالى بالمحافظة عليها في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ (عامة) وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ (خاصة) وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ولن أتحدث عن الإيمان، فأنتم أهله، وهو ما دفعكم وحملكم لترك بيوتكم وأهلكم وأولادكم للحضور إلى المسجد وأداء أفضل الصلوات في الإسلام، وهي صلاة الجمعة.

---

(١) خطبة جمعة في مسجد الحميرة بريف دمشق- بسورية في ١٤٢٥/٦/٦هـ الموافق ٢٠٠٤/٧/٢٣م.

ولن أتكلم عن خسارة الإنسان، جنس الإنسان، في حياته، وتجارته، في دنياه وآخرته، في بيعه وشرائه، في وقته وماله، وغير ذلك إن بقي غافلاً عن الله تعالى، وعما استثناه في آخر السورة.

ولن أتناول الذين عملوا الصالحات، فعمل الصالحات واسع وكثير، وتمارسونه -والحمد لله- في حياتكم، تبتغون وجه الله تعالى، وتحرصون على الخير بأنواعه.

وبقيت الجملة الأخيرة ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي يوصي بعضهم بعضاً، وتنحصر وصاياهم بالدعوة إلى الحق، وعمل الحق، والدعوة إلى الصبر، وتحمل الصبر على البلواء، والتجمل بالصبر عملياً في الحياة على السراء والضراء.

وأحصر كلامي على فقرة واحدة، وجملة واحدة من الآية كلها، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾، وحتى هذا كثير وطويل، فالحق يشمل كل ما أنزله الله تعالى، ودعا إليه الإسلام، وحثّ عليه الدين والحق هو الله تعالى، وهو كل ما أثبته في شرعه للإنسان، وهو مقابل للباطل والفساد والشر.

ولذلك أحدد كلامي بجانب واحد من التواصي بالحق، وهو التعاون والاتحاد فيما بيننا على مختلف المستويات والأصعدة، لأن المؤمن ضعيف بنفسه، قوي بأخيه، ولأن الله تعالى أمر المسلمين الأوائل، وهو أمر لنا ولجميع المسلمين- أن يعتصموا بحبل الله جميعاً، ويتحدوا على كلمة الحق، للتعاون بينهم، ونهاهم عن التفرق، وحذرهم من التشتت، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومعنى اعتصموا: تمسكوا بدين الله، واجتمعوا عليه، واتحدوا على طريقه، وتعاونوا على الالتزام به، والعض عليه بالنواجذ، والعصم: الإمساك، والاعتصام؛ الاستمساك، والتمسك بالشيء»[1].

ثم بيَّن الله تعالى منهج الاتحاد والتعاون، وذلك بطاعة الله ورسوله، ثم حذر من التنازع والفشل، والتفرق الذي يذهب بالأمة، ويجعلها هباء منثوراً، ولقمة سائغة في أفواه الأعداء، ويبدد طاقات المجتمع، وأن المسلمين ملزمون بالصبر على تحمل مشاق الاتحاد والتعاون والتضحية في سبيلهما، ليكونوا من الصابرين المحتسبين المأجورين عند الله، الفائزين في الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وجاءت هذه الآية في المجال العملي عند لقاء العدو، والاستعداد للوقوف في وجهه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وتأكد الأمر بالاتحاد والتعاون عن طريق الاعتصام بحبل الله ودينه في الآية السابقة، مع التذكير بالأمراض الفتاكة السابقة في التفرق والاختلاف، والتقاتل والتناحر، ليذكروا نعمة الله تعالى الذي وحّد قلبهم، وألف بينهم بالإيمان والإسلام، فأصبحوا بفضل الله تعالى إخواناً متحابين متعاونين، بعد أن كانوا على شفا حفرة من الوقوع بالنار، فأنقذهم الله منها، وذلك توجيه

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص٣٣٧.

للهداية، والسير على سبيل الخير والنصر والظفر، والنجاح والفلاح.

كما أكد القرآن الكريم الأمر بالتعاون على البر والتقوى، فقال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

والبرُّ: كلمة جامعة لجميع أنواع الخير، والبَّر: خلاف البحر، ويتصور منه التوسُّع، فاشتق منه البِّر، أي التوسع في فعل الخير، وبرَّ العبد ربَّه توسع في طاعته، ويكون من الله تعالى الثواب: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، ويكون من العبد الطاعة في السلوك، والطاعة في الاعتقاد، والطاعة في الأعمال في مختلف شؤون الحياة الدينية والاجتماعية والمالية والسياسية والإدارية[١].

ويقابل ذلك التحذير من التعاون على الباطل والإثم والعدوان، والإثم والآثام: اسم للأفعال الباطلة، الضارة، الفاسدة، والمدمرة، التي تفتك بالفرد والمجتمع في الدنيا، وتحبط الأجر، وتبطل الثواب في الآخرة، ولو كانت لمجرد الإبطاء عن عمل الخيرات، كما يطلق الإثم على الكذب، لكونه من جملة الإثم، كما يطلق البِّرُ على الصدق، لأنه من أنواعه[٢].

وقد يعترض الخلاف والاختلاف عند التعاون على البر والتقوى، فأرشد القرآن الكريم إلى وجوب الإصلاح بين الإخوة، ليتم التعاون، ويستمر الوفاق، ولذلك جاء القرآن الكريم بصيغة الوصف للمؤمنين بالإخوة، ليزيلوا كل شقاق بينهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) المفردات ص٤٠.

(٢) المفردات ص١٠.

وجاء البيان النبوي الشريف مؤكداً لهذه المعاني السابقة، ومرشداً للمنهج القويم لتحقيقها، وذلك في أحاديث كثيرة، نذكّر ببعضها.

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[1].

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي بدأ صاحبه بالسلام»[2].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»، والتحريش: الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم[3]، وهذا هو الخطر المحدق بالأمة، ويحذر منه رسول الله ﷺ وليس مجرد الشرك والوثنية.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[4].

---

(١) هذا الحديث متفق عليه (رياض الصالحين، ص٥٨٢).

(٢) هذا الحديث متفق عليه (رياض الصالحين، ص٥٨٢).

(٣) هذا الحديث متفق عليه (رياض الصالحين، ص٥٨٣).

(٤) هذا رواه البخاري ومسلم (رقم ٢٥٨٠) (رياض الصالحين، ص١٢٦، ط دار المأمون- دمشق).

ومنها وجوب التواصي بالحق، مع وجوب ترك الأهواء، ونوازع النفس، ابتغاء مرضاة الله تعالى، وفي سبيل الله عز وجل، لينعم الناس بالتفيؤ بظلال الشرع الحنيف، وإقامة الدّين في القلوب، والبيوت، وفي الأسرة، وفي المجتمع، ويتم إقامة الحق والعدل والبر مع النفس والأهل، ومع الجيران والأحبة، وفي المسجد وأهل البلد، ومع كل من يتم معه لقاء أو معاملة، ليكون الجميع يداً واحدة، وقلباً واحداً، ومجتمعاً واحداً يعمل على الخير والصلاح والإصلاح، وليس على الشر والفساد والإفساد، ويتواصى بالحق، ويتناهى عن المنكر والبغي.

وينتج عن هذه المقدمات، والتوجيهات، والوصايا، والإشادات، ما يلي:

١- تحقق القوة في الوحدة، والتماسك، والتعاون الذي ينتج العزة، ويثمر الكرامة.

ويكفينا ذلاً وهواناً أمام كثرة الأعداء علينا مع التفرق والتقاتل فيما بيننا، ويكفينا خجلاً وشناراً بهذه الملايين من المسلمين، وهم غثاء كغثاء السيل، وقد نزع الله المهابة من قلوب عدوهم، وقذف في قلوبهم الرعب، لحبهم الدنيا، وتمسكهم بها، وكراهيتهم للموت.

وهذا ما دعا إليه الشاعر الحكيم، وصية وتحذيراً، فقال:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى … خطب ولا تتفرقوا آحاداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسُّراً … وإذا افترقن تكسرت آحاداً

٢- إن التعاون، والتكاتف، والاتحاد، والاعتصام بدين الله، يحل المشكلات، ويبني الفضائل، ويحقق المعجزات.

وإن الأعداء يتجمعون، ويتحدون، ويتعاونون على الباطل والعدوان، فكيف نقبل لأنفسنا التفرق، والتمزق، والتناحر، والتقاتل على الفتات

وحطام الدنيا، وننسى الله تعالى ووصاياه؟

كيف نقبل أن يطعن الأخ أخاه، ليحمله على موافقته كرهاً ولو على الخطأ والباطل وإلا قاطعه، وأدار له ظهره؟ والأنكى والأدهى أن يتجه المسلم إلى العدو ليتحالف معه ضد الأخ المسلم، أو يتآمر معه على مصالح الإسلام والمسلمين.

وإن بواعث التفرق والتمزق، ووراء هذا الداء، ثلاثة بواعث للغواية، وهي:

١- الدرهم والدينار، أو المال، وحطام الدنيا، ومتاعها الزائل.

٢- حب الزعامات والرئاسات الفارغة، وحب الاستعلاء والارتقاء ولو كان ذلك على حساب القيم والمبادئ، وعلى جماجم الأهل والأحبة.

٣- اتباع الشهوات والغرائز الجامحة، وغير المضبوطة، والبدائية الهمجية.

ويقف وراء هذه البواعث الثلاثة الشيطان، وأعداء الله والدين والإسلام الذين يضمرون الشر للمسلمين، والتأخر، والجمود، والتشتت، والتناحر، بينما ننسى، أو نتناسى، وصايا القرآن والسنة، ونضع خلف ظهورنا تعاليم الدين والإسلام وخطاب القرآن، وتوجيه النبي العدنان.

ونحن ننسى -أو نتناسى- تاريخنا الحافل، وسيرة الآباء والأجداد والسلف الصالح عندما توحدت كلمتهم، وتعاونوا على الخير والبر والتقوى، ففتحوا العالم أولاً، وانتصروا على البغي والعدوان ثانياً، وأقاموا الدّين والحضارة والمدنية ثالثاً، وكانت النتيجة العزة والكرامة والسعادة في الدنيا، والفوز برضوان الله تعالى وجنات النعيم في الآخرة.

إن الألفة والمحبة، والوحدة والاتحاد، والتعاون والتكاتف، هي دعائم الإسلام والدين، وهي أركان المجتمع والأمة، وهي وسائل الرقي والتقدم،

وهي ما دعا إليها القرآن الكريم في الآية السابقة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إنه أمر بالاعتصام بحبل الله تعالى لتوحيد الكلمة، ونهي عن ضد ذلك وهو التفرق والتمزق والأنانية والفردية التي تفسد وتدمر.

إنه توجيه ربان قرآني محمدي، وهو نعمة جلى من الله تعالى الذي يؤلف بين القلوب، ويوحد بين النفوس، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ثم أكد ذلك القرآن الكريم، وذكّر به حبيبه محمد ﷺ ليكون في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

أما **الأهداف والنتائج** التي نريد الوصول إليها، فهي:

١- يجب توحد الكلمة، واجتماع القلوب لصنع المعروف، واللقاء على التعاون على البر، وعمل الخير، في المسجد، ودروس العلم، ومساعدة المحتاجين والمساكين، وتعظيم شعائر الله تعالى ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ويبدأ ذلك من لقاء الجمعة وصلاة الجماعة، والوعظ، والتذكير، ليخرج المسلمون من المسجد بقلب واحد، واتجاه واحد، وشعار واحد، ويتركوا دواعي الهوى والنفس والشيطان.

٢- يجب الأخذ بأسباب الألفة والتعاون في ذلك، وتبدأ بالتهادي، والزيارات، وإفشاء السلام، وعيادة المريض، وتعزية المصاب، وتشييع الجنائز، وتنقية

النفوس، وتطهير القلوب، واحترام الآخر، والتضحية والإيثار، والتخاطب المحبوب، والمشاركة في الآلام والآمال، والتعاطف بين الغني والفقير، والتراحم بين الكبير والصغير، والمودة والسكن بين الزوجين، والبر بين الأولاد والآباء، وحسن المعاملة، والسماحة في التعامل.

وإن قصرنا في ذلك تنافرت القلوب، وابتعدت الأجسام، وتناءت الأرواح، وأصابه التخاذل والتفرق الذي يؤدي إلى الذل ليكون المسلمون لقمة سائغة لأعداء الله والدين.

٣- إصلاح ذات البين، فقد أمر الله تعالى بذلك لإزالة الخلاف والشقاق والبغضاء، سواء كان بين الزوجين، أم بين أفراد المجتمع، ليتم التكافل بين الجماعة، والتعاون بين الأفراد، حتى بيَّن الله تعالى أنه لا خير في اللقاءات والاجتماعات أفضل من الإصلاح، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١٤]، وأرشد رسول الله ﷺ إلى أن الإصلاح أفضل من الصلاة والصيام والصدقة، فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[(١)].

ولذلك يجب الإسراع والمسارعة في ذلك، قبل أن يُقطع ما أمر الله به أن يوصل، وتقطع وشائج الرحم، وصلات القربى، وتهدم دعائم المجتمع، فإن تم

---

(١) هذا الحديث رواه أبو داود (أدب/ ٥) والترمذي (قيامة/ ٥٦) ومالك (الموطأ/ حسن الخلق ٧)، وأحمد (١/٦٥، ٦٧، ٦/٤٤٥).

الإصلاح والصلاح فقد قطع دابر الفساد في مهده، وهذا ما أمر به الله تعالى، فقال عز وجل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

اللهم ردنا إلى دينك، رداً جميلاً، وأصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، ووفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك في الوحدة والاتحاد، والتعاون والتآلف، والحمد لله رب العالمين.

خامساً: الشرط الشرعي للنصر والانتصار

◈ التقديم:

الحمد لله رب العالمين، القائل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهو المتصرف في الكون والخلق، يفعل ما يشاء ويختار.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الفعال لما يريد، المختار لما فيه الخير والصلاح في الزمان والمكان، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، اختاره واصطفاه، وأرسله للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعن الصحابة أجمعين، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

➢ **المقدمة**: أما بعد: فقد تقرر عادة وشرعاً، وعقلاً، أن لكل فعل شروط، وأن من يريد التقدم إلى عمل، أو دراسة، أو كلية، أو معهد، أو وظيفة، أو تأشيرة، أو إجازة، أنه يشترط لذلك شروط، فإن توفرت الشروط حصل على الهدف.

➢**مشكلة الموضوع**: إن الناس اليوم، بمناسبة ثورة الحرية والكرامة، يسألون، ويتساءلون متى نصر الله، ولماذا لا ينصر الله المجاهدين، ولماذا يتأخر النصر عنهم، ولماذا لا ننتصر؟ ألا ينصر الله المسلمين، ألم يَعد الله النصر لعباده المؤمنين؟

➢**تأصيل المشكلة**: هذه الأسئلة ليست جديدة، بل لها أصل في التاريخ، ومع الأنبياء والمرسلين، ومن تبعهم، وقد كرروا هذا السؤال: متى نصر الله؟

والأصل في ذلك أن الإنسان ضعيف من جهة، ويستعجل النتائج، ويأمل، ويحلم بالفوز والانتصار، وفي التاريخ الإسلامي ظهر ذلك في مكة المكرمة بعد البعثة والإيذاء والاضطهاد للمسلمين، فسألوا النصر والانتصار، وطلبوا الشروع بالقتال لدفع الظلم والإيذاء، ويأتي جواب رسول الله ﷺ: «لم يأذن لي بالقتال».

وبرز هذا السؤال بشكل بارز في صلح الحديبية، وبعد كتابة شروطه التي شعر فيها المسلمون بالحيف وعدم المساواة، فجاء عمر ﷺ إلى رسول الله ﷺ سائلاً ومستغرباً ومتعجباً، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حق؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال: أليسوا على الباطل؟ فقال: «نعم»، فقال: إذن لماذا نعطي الدّنيّة في ديننا؟ فقال له النبي ﷺ: «إني رسول الله، ولن يضيعني الله»، فرجع عمر ﷺ ولكنه لم يرتو، ولم يكتف بالجواب، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه، وسأله نفس الأسئلة، فأجابه تلقائياً واتفاقياً بنفس الأجوبة السابقة.

➢**شرط النصر والانتصار**: إن الجواب الحقيقي على أسئلة الناس قديماً وحديثاً يتعلق بجوانب متعددة، وله تفاصيل كثيرة، وأسباب عديدة من جهة المسلمين، ومن جهة العدو.

واقتصر هنا على جانب واحد عام يتعلق بالعقيدة فقط، وهو أن الله

تعالى هو المتصرف بهذا الكون، وهو يخلق ويختار، ويعلم الغيب في الحاضر والمستقبل للخلق جميعاً، وهو العليم الحكيم في تحديد وقت النصر.

وإن الله تعالى حدّد جواب السؤال السابق بشكل صريح وقاطع، ولا يحتاج إلى تفسير، وتفاصيل، وحدده بشكل دقيق، ولكنه يحتاج إلى الفهم والتدبر والتطبيق والالتزام، وإن الله قرّر بشكل حازم وقاطع ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وبين تعالى المنهج والسبيل والطريق للنصر بقوله عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

إنه جواب مختصر، وكامل، ودقيق، وحتمي، و يكرره المسلمون، وكثيراً ما يغفلون عن حقيقته وتطبيقه.

➢**الواقع**: ونريد أن نرجع إلى واقع المسلمين اليوم ونلقي الشرط الشرعي للنصر والانتصار على حياتهم المشاهدة الملموسة التي لا يجادل فيها اثنان، مع التسليم الكامل بإيمانهم، الذي لا نشكك فيه، ولا نطعن بوجوده، فالإيمان بالله تعالى بشكل عام موجود ومتوفر، ولكن مجرد الإيمان لا يكفي، وأن النصر لا يتوقف على الإيمان فحسب، فلا بد من العمل، والقرآن الكريم قرن الإيمان بالعمل، فلننظر في أعمال المسلمين.

هل يؤدي المسلمون بقية أركان الإسلام، وهل يؤدون العبادات الرئيسة في حياتهم؟ وما هي نسبة المصلين اليوم؟ ألا يدل الواقع أنهم لا يصلون إلى النصف؟ وما هي نسبة المزّكين اليوم؟ وأظن أنها لا تتجاوز عشرين بالمائة، وقد تزيد النسبة قليلاً في الصوم والحج، ولكن كيف حال الحجاج إلى بيت الله؟ وهل يحققون مقاصد الحج والعمرة؟ أليسوا مجرد غثاء كغثاء السيل؟

وما هي نسبة تطبيق الأخلاق الإسلامية في الصدق والأمانة، والوفاء بالوعد، والبذل، والإيثار والكرم والتصدق، والصبر؟

وما هي نسبة المسلمين الملتزمين بالأحكام الشرعية في الأسرة، والمعاملات، والقضاء، ونظام الحكم والخلافة الإسلامية، وتطبيق الحدود الشرعية، والعقوبات، والميراث والفرائض؟

أين تطبيق الإسلام في البلاد الإسلامية خاصة؟ وأين تطبيق القرآن الكريم الذي وضع في المساجد وعلى الرفوف وعلى صدور النساء، وهو يصرخ قائلاً: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وما مقدار المحرمات التي تنتهك بها حرمات الله ومقدساته، بل نجاهر بها، كالخمر والكذب، وشهادة الزور، وأكل الربا الذي يعمّ البلاد الإسلامية وغيرها، وانتشار الزنا، وأكل أموال الناس بالباطل، والظلم والفساد المستشري في أرجاء المعمورة وفي البلاد الإسلامية خاصة.

كيف حال المرأة المسلمة اليوم والتزامها بالإسلام والحجاب وحتى في ظلال الأسرة؟ إن النسبة خجولة، ولا تصل إلى النصف في أحسن الأحوال.

أين التآلف بين المسلمين؟ وأين التكافل الاجتماعي؟ والصورة الواقعية مخزية، فالتفرق قاتل، والبساطة والسذاجة مميتة، والدول متفرقة، والجماعات متباينة، والأحزاب الإسلامية متشرذمة، وحتى المذاهب والفرق والطوائف متباينة مع كثرتها، وكل واحدة تصرخ في واد، بل تتقاتل مع الأخرى، وتصل الطامة الكبرى بينهم للتكفير والتخوين!!

فلو انتصر المسلمون في هذه الحالة لكان كلام الله تعال باطلاً، ولكان شرطه للنصر وهماً، بل لكانت النتائج خطيرة، والويلات أشد.

➢**الحل**: يتمثل الحل لهذه المشكلة، والجواب عن هذه الأسئلة بأمرين:

➢**الحل الأول**: يتعلق بنا، وهو في قدرتنا، ويقع تحت أيدينا، وهو وجوب العودة للدين، والالتزام بأحكام الشرع، واعتماد منهج الإسلام للحياة، وأن نسعى ونعمل بالجهد الحثيث على نصرة الله تعالى بتطبيق شرعه، والسير على هديه، وأن نتواصى به، ونعضّ عليه بالنواجذ، وعند ذلك نحقق الشرط الذي ورد في الآية السابقة، لنستحق النصر ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

ونذكر مثالاً إسلامياً في معركة السواك عندما تأخر النصر على المسلمين، وراجعوا أنفسهم، فتذكروا ترك سنة السواك، فأقبلوا عليه فظن الأعداء أنهم يشحذون أسنانهم ليأكلوهم فانهارت معنوياتهم، وتحقق النصر مباشرة للمسلمين، كما نذّكر بقصة أحد الصهاينة الذي سأل مسلماً عن عدد المصلين في صلاة الفجر، فأجابه بأنهم صف أو صفان، فقال: إذن، فهذا اطمئنان على دولتنا، ولن يغلبنا المسلمون حتى يصير عدد المصلين في الفجر كعدد المصلين في صلاة الجمعة.

➢**الحل الثاني**: حل إلهي، يتعلق بسنة الله الكونية للأخذ بيدنا إلى الحل الأول، وهو الابتلاء والاختبار من الله تعالى لعبده، لأن الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، وإن البلاء يترل بالفرد والجماعة للتصفية من الموبقات والفساد والانحراف والعودة إلى حظيرة الدين، إن التربية بالشدة والقسوة محبة للعودة إلى روضة الإيمان والإسلام.

ونضرب أمثلة عملية من الابتلاء والاختبار الذي أعاد كثيراً من المسلمين اليوم إلى الدين، منها أداء الملايين للصلاة في ميدان التحرير خلال الثورة المصرية المجيدة، وامتلاء المساجد في سورية بالمصلين، وكان كثير منهم

لا يصلون، أو لا يدخلون المساجد.

ومن ذلك التكافل الاجتماعي والتكاتف مع المهجرين والمنكوبين واللاجئين الذين يُستقبلون استقبالاً يُذكّر باستقبال الأنصار للمهاجرين، وتقسيم الأطعمة والأشربة والملابس فيما بينهم ، وتأمين الإيواء والمسكن المجاني.

ومن ذلك جمع التبرعات السخية التي لم يسبق لها مثيل في العصر الحاضر لإمداد المجاهدين وعائلاتهم بالنفقات والمساعدات من جميع أرجاء الوطن ومن الجاليات في بلاد الغربة والمهجر ومن ذلك التركيز على الإيمان بالله تعالى، والإخلاص له، وطلب العون والمدد منه، والاستغاثة به، ورفع الشعارات الإيمانية والدينية، واللافتات التي تعبر عن عمق الإيمان والإخلاص لله تعالى.

ومن ذلك ابتلاء واختبار الشباب ليرجعوا إلى دينهم، ويثوبوا إلى رشدهم، وتتيقظ فيهم حمية الإيمان والإسلام، ويجدِّدوا العهد مع الله تعالى، ويحقِّقوا الآمال الجسام المعقودة عليهم، بعد أن خطط لهم الفساد الفكري والفني والثقافي والاجتماعي، وخطط لهم الانعزال عن الحياة الاجتماعية والسياسية حتى كاد اليأس من صلاحهم أن يتحقق، فرجع الكثير منهم إلى الدين والإيمان، والتفكير والوعي، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والسياسية، ليجدِّدوا تاريخ السلف الصالح من الشباب.

➢ **استدراك**: وهنا لابد من الاستدراك والتنويه لعدة أمور:

١- أن تصوير حالة الناس السابقة، وتساؤلهم عن النصر لا يدعو إلى اليأس والقنوط وفقدان الأمل والرجاء.

٢- إن الأسئلة السابقة، والتصور السابق لا يعني تعميم ذلك على جميع المسلمين، فالمسلمون اليوم فيهم فئات مؤمنة، وملتزمة، ومحافظة على

الدين وشرعه وأحكامه، وإن كانوا قلة.

٣- إن المسلمين عامة، والفئات المؤمنة خاصة، هم اليوم أحسن حالاً بكثير من الماضي القريب قبل قرن مثلاً، وطوال القرن الماضي.

٤- إن الصحوة الإسلامية في العالم اليوم تبشر بخير كثير في جميع النواحي العلمية والفكرية والثقافية والاجتماعية، وحتى في بعض الجوانب التشريعية والتنظيمية، وإن الربيع العربي يمثل قمة الصحوة الإسلامية اليوم، بعد فترة من الجمود والركود والتخلف والسُبات والنوم الذي طال حتى كاد اليأس أن يتسرب إلى الشعوب الإسلامية.

٥- إن صحوة الشباب خاصة تبشر بأن الأمة لا تزال باقية وحيّة، وإن ساد الهرم والشيخوخة للكبار حتى صرّحوا وقالوا: هرمنا، هرمنا، والدور للشباب.

٦- إن طريق الصحوة والعودة إلى الإسلام والحرية والكرامة لا يزال في أوله، وإن السنة والسنتين والثلاث قليلة وقصيرة في عمر الزمان.

٧- إن طول المخاض، والتجربة، والثورة، يمثل عمقاً، ويمهد لأمل طويل في حياة الأمة التي ستذكر هذه التجارب والمحاولات والتضحيات والكوارث والمصائب والظلم والاستبداد والصراع بين الحق والباطل، ستذكر ذلك بمداد من النور، وأحرف من ذهب، وسيبقى ذلك في سجل التاريخ.

٨- إن الأمل كبير، والتفاؤل بالنصر، ولو جزئياً، في ازدياد، ومهما طال الليل، فلا بدّ للفجر أن ينجلي، وإنّ الصبح لناظره قريب، وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة، والمهم اليقظة والبدء بالحركة والعمل، وإن تباشير النصر قد حصلت في تونس ومصر وليبيا واليمن، وكثير من البلاد العربية والإسلامية.

سادساً: خطبة عيد الفطر

يوم الجائزة والأفراح[1]

◈ الخطبة الأولى:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، تسع مرات.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله العظيم وبحمده بكرة وأصيلاً.

الحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام، الحمد لله الذي أحيانا حتى صمنا رمضان، وبلغنا عيد الفطر، لنحصل على الجائزة والثواب.

وأشهد أن لا إله إلا الله، تفضل على عباده بالرحمة والمغفرة والرضوان، وخلقهم ليربحوا عليه، وينالوا الأجر والفوز بجنات النعيم.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، اصطفاه واختاره، وأرسله هادياً وبشيراً، ومبلغاً وداعياً، ورحمة للعالمين، فكان إمام المتقين والصائمين، وحبيب رب العالمين، والأسوة القويمة إلى يوم الدين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، مع الوصية بتقوى الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وبعد، أيها الإخوة الصائمون بالأمس عبادة وتقرباً، المفطرون اليوم شكراً وتعبداً، هذا يوم الجائزة كما يبشرنا الحبيب المصطفى ﷺ -فيما رواه الطبراني في

---

(١) صباح يوم الجمعة في مسجد جامعة الشارقة في غرة شوال ١٤٣١هـ، ١١، ٩، ٢٠١٠م.

الكبير- عن سعد بن أوس الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان **يوم عيد الفطر** وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمنّ بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتكم بقيام الليل فقمتم، وأمرتكم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا **جوائزكم**، فإذا صلوا نادى منادٍ: ألا إن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، **فهو يوم الجائزة**، ويسمى ذلك اليوم في السماء **يوم الجائزة**»[1].

أيها الإخوة المؤمنون، أيها الإخوة الصائمون بالأمس، المفطرون اليوم:

إننا سمعنا طوال شهر رمضان، وطوال العام عن جوائز متنوعة ومتعددة، من جائزة الأولمبياد الرياضي إلى جوائز الشركات والمؤسسات، إلى جوائز حفظ القرآن الكريم، وجوائز الشخصية الإسلامية العالمية، وجوائز المبيعات والتجار، وكل هذه الجوائز يشترك فيها المئات والآلاف فأكثر، ولكن لا يفوز فيها إلا واحد، أو اثنان، أو ثلاثة.

أما جائزتنا اليوم فقد اشترك فيها الملايين في أرجاء المعمورة، وكل مسلم صام رمضان فهو مشارك في المسابقة إلى الخير العميم أولاً، وفائز بالفضل الكبير ثانياً، فهي مسابقة عامة شاملة، وجائزة الفوز فيها من رب العالمين، من رب كريم، يمن بالخير، ثم يثيب عليه الثواب الجزيل، فمنّ علينا بشهر رمضان المبارك، وهو أفضل الشهور، وفتح لنا أبواب الجنان، وأغلق أبواب النيران، وصفد عنا الشياطين، ودعانا للصيام والقيام، ثم تفضل علينا

---

(١) هذا الحديث رواه الطبراني في الكبير من رواية جابر الجعفي، وهو حديث ضعيف السند، الترغيب والترهيب ص ٢٥٥ رقم ١٦٨١، كتاب العيدين والأضحية، الباب ٢ الترغيب في التكبير في العيد وذكر فضله.

بالجزاء والفضل العميم، وهو الكريم المنان.

وموضوع المسابقة -أيها الإخوة المؤمنون- هو لجميع الصائمين الذين قد يبلغون المليار، وموضوعه هو ما ذكره لنا العلماء والخطباء والوعاظ طوال شهر رمضان فيما جاء في القرآن الكريم عن الصيام في أول آياته ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] ثم قال في آخر آياته ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧] فالموضوع أولاً هو التقوى، وبين لنا حبيبنا المصطفى مفردات المسابقة عن رمضان «أمرتم بقيام الليل فقمتم، وأمرتم بصيام النهار فصمتم»، «ورمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»، «ورمضان شهر الصبر».

وقام المتسابقون في أرجاء المعمورة بإطعام الطعام، وفتح أبواب خيام الخير، وموائد الرحمن للفقراء والمساكين الذين يرددون «نتمنى أن تكون السنة كلّها رمضان» وذلك في معظم البلاد، حتى في أوروبا وأمريكا واستراليا.

وقام المتسابقون بالزكاة والصدقات حتى ختموها أخيراً -وليس آخراً- بزكاة الفطر، وأنفقوا الأموال في سبيل الله، وابتغاء مرضاة الله، طمعاً بفضل رمضان الذي تتضاعف فيه الحسنات فمن «أدى فيه فريضة فكان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ومن أدى فيه خصلة من خصال الخير فكان كمن أدى فريضة فيما سواه».

وتنافس المتسابقون في تلاوة القرآن وختمه في شهر رمضان، وهو شهر النصر والانتصارات الكبرى في بدر وعين جالوت وفتح الأندلس وفتح القسطنطينية، وغيرها، وهو شهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وتسابق الصائمون إلى عماد الإسلام إلى الصلاة، وملؤا المساجد، وشاركوا في صلاة الجماعة، وفاكهة رمضان بالتراويح وقيام الليل والتهجد والاعتكاف، وخاصة في العشر الأواخر.

وهو شهر التربية المستمرة، ومدرسة الثلاثين يوماً، ويوم المراقبة لله تعالى، وإحياء الضمير.

وخشع الصائمون بين يدي ربهم بالدعاء الخالص، فيما بينهم وبين ربهم مباشرة وهو القائل وسط آيات الصيام ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأعلن الآلاف التوبة في رمضان وعادوا إلى ربهم، ليغفر لهم، ويتوب عليهم.

وتجلى بين الصائمين الوئام، والإخوة، والتعاون، والمحبة، والعطف، وصلة الأرحام.

ونضحت الأجساد من الشحوم والترسبات وفضلات الدسم «صوموا تصحوا» ومن الدهون، لتجديد الخلايا والنشاط في الجسم.

وغير ذلك كثير وكثير في شهر الصيام الذي يستحق فيه اليوم كل مسلم صام، وكل مسلمة صامت، الجائزة -التي ليست كأساً أو ميدالية ذهبية، أو مبلغاً من المال- إنما جائزة في السماء والأرض، إنه يوم المغفرة من الذنوب، فمن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، فهنيئاً لكم هذه المغفرة والتوبة إلى الله سبحانه، وكما قال تعالى في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به».

حتى العيد عبادة واستمرار لعبادة الصيام، فيبدأ بالتكبير ليلة العيد حتى يدخل الإمام إلى المحراب، ثم صلاة العيد، ثم كل عمل فيه طاعة وصلة حتى الابتسامة، فهو عبادة وتقرب إلى الله تعالى.

ولذلك ثبت في صحيح مسلم قوله ﷺ: «للصائم فرحتان، فرحة عند فطره (أي كل يوم، وفي يوم العيد) وفرحة عند لقاء ربه».

أيها الإخوة المؤمنون:

إن هذا اليوم، ليس يوم استلام الجوائز وقبضها وحسب، بل هو **يوم الأفراح والبهجة والسرور**، يوم اللقاء والحبور، يوم الاجتماع والابتسامة، يوم التهاني واللقاء بين الأهل والأحبة والإخوة والجيران والزملاء، لقاء الجميع في المسجد أولاً، ثم في البيوت والزيارات، وفي المجالس والمنتديات، وكلهم يردد الدعاء المأثور «تقبل الله منا ومنكم».

إنه يوم الفرحة والسرور للجميع، وخاصة للأطفال وطيور الجنة الذين يغردون في كل مكان، وكأنهم الأبطال الحقيقيون لفرحة هذا اليوم، فشاركوهم الفرحة والبسمة، وساعدهم على الابتهاج، وممارسة الألعاب، وأدخلوا إلى قلوبهم السعادة والسرور.

ولكن يجب أن تكون جميع الأعمال، للكبار والصغار، **مباحة ومشروعة**، وحذار من ارتكاب المعاصي والمحرمات، حتى لا تنقلب الأمور رأساً على عقب، وتضيع الأعمال السابقة، وتهدر الطاعات المقدمة، فكما أن العبادات يتضاعف ثوابها في هذه الأيام الفضيلة، فكذلك الذنوب والمعاصي والسيئات يتضاعف عقابها.

تقبل الله مني ومنكم الطاعة في شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، شهر العبادة والصيام والقيام، شهر الصدقة والزكاة وإطعام الطعام، شهر الصبر والجهاد والنصر.

◈ الخطبة الثانية:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبع مرات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ثم لحق بالرفيق الأعلى راضياً مرضياً، وقد أمرنا الله تعالى بالصلاة عليه، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وعمن تبعهم إلى يوم الدين.

أيها الإخوة المؤمنون: أريد التنبيه والتنويه والتذكير بأمور:

١- صدقة الفطر أو زكاة الفطر تجب على كل مسلم، وتدفع في نهاية شهر رمضان، وليلة العيد، وحتى قبل صلاة العيد، فمن أداها فقد ثبت أجره، ومن نسي أو تأخر، أو لم يقدمها لأي سبب كان، فيجوز أن يدفعها

للفقراء والمساكين يوم العيد، إما على أنها زكاة فطر، على رأي الشافعية، وإما على أنها صدقة من الصدقات في هذا اليوم الفضيل، على رأي الآخرين.

٢- إن يوم العيد يوم طعام وشراب وبهجة، ومشاركة للمسلمين في سرورهم، فيحرم فيه الصيام قطعاً، وباتفاق العلماء، وذلك ثابت بالسنة الشريفة.

٣- إن صلاة العيد **سنة مؤكدة** عند جماهير العلماء، وصلاة الجمعة فرض، وهي أفضل صلاة في الإسلام، فإذا اجتمع العيد والجمعة فالمطلوب صلاة العيد وصلاة الجمعة، وإن ما ورد في الحديث عن اختيار إحداهما فكان ذلك **أولاً رخصة** لأهل العوالي الذين هم من خارج المدينة، وكانوا يتكبدون المشقة للحضور لصلاة العيد مع رسول الله ﷺ، فرخص لهم بعدم أداء الجمعة، لأنه لا صلاة عليهم أصلاً، وهذا كالرخصة للمريض والمسافر بالفطر في رمضان، فلا يعني جواز الفطر لكل المسلمين، وإن رسول الله ﷺ صلى العيد، ثم صلى الجمعة قطعاً ويقيناً، وكذلك سائر الصحابة، ولنا فيهم قدوة حسنة، وإن السنة لا تسقط بالفرض.

٤- يسن لمن جاء إلى صلاة العيد من طريق أن يعود من طريق آخر، اقتداء برسول الله ﷺ لتشهد له الملائكة والطرقات بذلك.

وإني داع فأمنوا...، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر، وكل علم وأنتم بخير.

سابعاً: نبش القبور وسب الموتى[1]

◈ مقدمات:

الحمد لله الذي هدانا للإيمان والإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، ثم يتولى بنفسه الحساب يوم الجزاء.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، الذي كان أكمل الناس خلقاً، وقال له ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ».

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الطاهر الزكي، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) خطبة الجمعة / جامع الإيمان ١٤٣١/٨/١٨هـ، ٢٠١٠/٧/٣٠م.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون:

فإن موضوع الخطبة غريب وعجيب، ومضحك ومبك، لأنه يعالج مرضاً يسري بين الناس، وينتشر بينهم مع مافيه من خطر وضرر في الدين، وفساد في الحياة، وسوء للأخلاق، إنه «**نبش القبور وسب الموتى**».

والإسلام: عقيدة وشريعة وأخلاق، وهذا المرض يتنافى مع العقيدة والشريعة والأخلاق ،لأن الأخلاق الحسنة أحد أركان الإسلام، ورسول الله ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أو «صالح الأخلاق».

ولكن غياب العقيدة الصحيحة، وضعف الإيمان، وتحريض الشيطان وأعوانه، يشغل الناس في أمور جانبية، ليهدم ما بقي من العقيدة والإيمان، ويشغلهم بسفاسف الأمور، ويبعدهم عن جوهر الدين وأركانه وأحكامه، ومشاكل الحياة وأهوالها.

ومن ذلك ما يشيع اليوم من «نبش القبور وسب الموتى» وليس المراد حفر القبور فهذا يتم عند موت الإنسان ليُحفر له القبر ليُوارى تحت التراب ويستر، وهو منهج الدين منذ قتل قابيل أخاه هابيل، وتحير في جثته ﴿**فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ**﴾ ففطن و﴿**قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ**﴾ [المائدة: ٣١].

وحفر القبر لدفن الميت فرض على جماعة المسلمين، وهو سنة متبعة، ومنهج سديد لتكريم الميت.

ونسمع بنبش القبور في أوروبا وفلسطين المحتلة **حقداً** على الإسلام

والمسلمين من اليهود، و**تعصباً** يمينياً متطرفاً، وإيذاء لمشاعر المسلمين، مما يستنكره العقلاء والمعتدلون.

ولكن الموضوع الأهم اليوم هو نبش القبور القديمة في ديار المسلمين، وتناول الأموات بالسب والشتائم، وتجريح أعراضهم، والتذكير بمساوئهم، وقد يكون هذا صغيراً وبسيطاً، ولكن يصل الأمر إلى **الافتراء والكذب وإلحاق التهم بهم**، ونسبتهم إلى الفساد والانحراف، ثم إلى الضلال والتكفير.

إنه **انحراف سلوكي**، وإشغال للناس بما لا يجدي ولا يفيد، ولا يسمن من جوع، ولا يحقق فائدة واحدة، ويثير الأحقاد والضغائن على السابقين، ويوقع العداوة والبغضاء بين الأحياء، ليقسم الأمة، ويمزق الشمل، ويثير النعرات الطائفية والسياسية.

ويبدأ النبش بمن مات قريباً من الناس وخاصة **الحكام**، والمشهورين، ثم يتم السير للوراء والقديم، للنيل من **خلفاء بني عثمان**، ثم الإساءة لدولة المماليك، ثم لخلفاء **بني العباس**، ثم يتركز الشتم والسب على **خلفاء بني أمية**، ليصل إلى الطامة الكبرى بسب **الخلفاء الراشدين** الذين هم أزكى الأمة وأفضلهم، ثم تصب اللعنات على الصحابة عامة وأبي بكر وعمر وعائشة

خاصة، رضي الله عن الصحابة أجمعين، ولا يستثنون إلا بعض الصحابة الذين لا يبلغون عدد الأصابع، مع المغالاة في حبهم والثناء عليهم وتقديسهم، مع بخس الآخرين حقهم.

والهدف من ذلك سياسي، مع إثارة للنعرات الطائفية، وتمزيق للأمة، وتوجيه الناس نحو الماضي، لإبعادهم عن الحاضر المؤلم، والاحتلال الأجنبي، والأعداء الحقيقيين.

وهذا طعن بالوحدة الوطنية، وتفريق الناس، وإشاعة الأحقاد والضغائن بينهم، وذلك عند شتم رموز الأمة وخلفائها وأجدادها وسلفها.

◈ فما هو الموقف الشرعي في ذلك؟

لقد رسم القرآن المنهج للمسلم فقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١] فتكررت الآية مرتين، ليبين القرآن الكريم **تحديد المسؤولية** أمام الله تعالى وحده، وأننا لا نسأل عن عمل غيرنا، لنتجه إلى أعمالنا ،ولعدم التحدث بما لا يفيد عن أخطاء الماضين، بل لنعالج الحاضر، ونعمل للمستقبل.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» رواه البخاري، وقال رسول الله ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم».

وهذا منهج تربوي وأخلاقي، لنذكر بالمحاسن فتكون مدحاً لصاحبها، وتذكير لسامعها، وحثاً على الاقتداء بها، ومواساة وجبر خاطر للأقارب الأحياء.

مع تجنب ذكر المساوئ، لأنها إشاعة للمنكرات والمفاسد، وإساءة للأحياء والأقارب، وتلويث اللسان بالكلام الضار الذي لا يفيد.

وإذا انتقلنا مباشرة إلى الصحابة فهم **أولاً: أفضل جيل عرفه التاريخ**، وهم الذين تربوا على يدي رسول الله ﷺ، وتخرجوا من مدرسة النبوة، وحملوا رسالة الإسلام، وبلغوها للناس، ونشروها خارج الجزيرة العربية في الشام ومصر والعراق وفارس، وطهروا هذه البلاد من احتلال الرومان والفرس، ومن الوثنية والكفر.

ثانياً: ثبتت طهارة الصحابة وفضلهم في القرآن الكريم، فقال تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ وختم الآية ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وكانوا ألفاً وأربعمائة بما فيهم كبار الصحابة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، والآيات في ذلك كثيرة، وتتحدث عن فضلهم وأعمالهم وجهادهم وعلمهم.

ثالثاً: في خصوص **زوجات رسول الله** ﷺ يقول تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، فزوجات النبي ﷺ ورضي الله عنهن هم أمهات للمؤمنين، ومنهم السيدة عائشة التي تعد كوكبة فيهم، وثبتت فضائلها الكثيرة، ونزلت براءتها من السماء مما اتهمها به المنافقون، في سورة النور، في عدة آيات، وأولها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ

بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].

رابعاً: أما الأحاديث في **فضل الصحابة** رضوان الله عليهم فكثيرة جداً، ومتوفرة في جميع كتب السنة المشرفة، عن فضائل الصحابة عامة، وفضل كل واحد منهم خاصة، وفضل آل البيت وأمهات المؤمنين على الأخص.

فمن ذلك قوله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

وقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ».

وقوله: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً، فمن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» رواه الترمذي وأحمد، وقوله: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم أو نصيفه» وقوله: «أرحم أمتي لأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤهم لكتاب الله أبيً، وأعلمهم بالفرائض زيد بن ثابت، وأقضاهم علي، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» هذا جزء من حديث طويل رواه مسلم (رياض الصالحين ص١٦٦).

خامساً: صنف القرآن الكريم الناس إلى ثلاث فئات: **المهاجرون، والأنصار ثم التابعون**، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

وبشكل عام فيحرم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية كالتحذير من الاقتداء بهم في البدعة والفسق ونحو ذلك، وإلا يحرم ذلك لما روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم أفضوا إلى ما قدموا» رواه البخاري (رياض الصالحين ص٥٧٢) وحتى يحرم الجلوس على القبر (رياض ص٦٣٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من **سلم المسلمون من لسانه** ويده، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه» متفق عليه (رياض ص ٥٧٣).

◈ النتائج:

١- إن الأموات **أفضوا إلى ما قدموا**، وعلينا السعي لما نقدم نحن من أعمال سنسأل عنها حتماً.

٢- إن الصحابة أولاً والخلفاء ثانياً **ليسوا ملائكة** مفطورين على الخير المحض، بل هم بشر.

٣- إن الصحابة والخلفاء **ليسوا معصومين** كالأنبياء، فقد يقع منهم الخطأ، وهم مسؤولون عنه يوم القيامة، ولا نسأل عنه ولا نحاسب ﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

٤- إن **أخطاء الصحابة والخلفاء قليلة جداً** بالنسبة لأعمالهم المجيدة

وجهادهم في سبيل الدين والدعوة، وحمل راية الإسلام والدولة الإسلامية في تطبيق الأحكام الشرعية، كما أن أخطاء الصحابة والخلفاء مهما كانت فهي أقل نسبة، وأقل خطراً وضرراً، بمئات المرات مما يصدر من الناس المعاصرين.

٥- لقد حذر الإسلام من **التعرض والشتم والسب للسلف الصالح**، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من علامات الساعة (أي علامات الفساد والانحراف والضلال) أن يلعن آخر هذه الأمة أولها»، وإن سب الأموات عامة، والصحابة خاصة تثير الفتن، والنعرات، والتعصب، والخلاف، والشقاق.

٦- تقتضي التربية الدينية، والتربية الوطنية، أن **نعتز بأمجاد الأسلاف** الذين كونوا دولة لثلاثة عشر قرناً، وكونوا أعظم حضارة ومدنية، سادت العالم أكثر من ثمانية قرون، بينما نرى الأمم الأخرى تعتز بتاريخها العادي، بل والمشين.

٧- توجب الأخلاق الإسلامية أن **نذكر محاسن الموتى**، ونغض الطرف عن مساوئهم، ولذلك قال الشاعر: **لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس أعين.**

٨- يوجب العقل والمنطق أن **نشغل عقولنا** وطاقاتنا وشبابنا وأجيالنا بما يعود عليها **بالنفع والخير**، والتقدم، والرخاء، والاهتمام بالأعداء الحقيقيين، ومكرهم، وتوجيه الطاقات نحوهم.

٩- كل من يتعرض للصحابة والخلفاء بسوء أو قدح **يتهم في عقيدته ودينه وأخلاقه**، وأهدافه.

١٠- إن الكلام السابق لا يمنع **دراسة التاريخ للاستفادة والعبرة من حسناته،** وتجنب سيئاته وتاريخ الأمة هو مجال فخرها ومجدها، وهو ما تحرص عليه الأمم الناهضة، ويدعو إليه المفكرون والعلماء الحكماء.

١١- لقد حثنا رسول الله ﷺ **للدعاء للأموات عامة،** وهذا أدب المسلمين الذين يدعون للأموات والثناء عليهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

ثامناً: معرفة الأحكام الشرعية[1]

◈ المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله، تكفل لعباده أن يرسل لهم الرسل ويترل عليهم الكتب بالهدى والبينات والأحكام، فقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وكلفه بالتبليغ والبيان، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

اللهم صل وسلم على هذا النبي الكريم، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

---

(١) خطبة جمعة / مسجد القصاب- دير عطية ١٤٣١/٨/١١هـ ٢٠١٠/٧/٢٣م.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

أيها الإخوة المؤمنون:

– ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال في بعض العصاة «أما إنهم يعذبون في كبير، وما هو بكبير» أي يعذبون في قبورهم بسبب كبير عند الله تعالى، ولكنه ليس بكبير في نظرهم، أو ليس كبير في الأداء والفعل، بل سهل ويسير

– هذا المبدأ متوفر في كثير من الحالات والأعمال التي تصدر عن الناس، فهو كبير عند الله، وإثمه كبير، ولكن فعله سهل ويسير، أو يظنه الناس يسيراً، وهو أمر خطير.

– ومن ذلك موضوع خطبتنا، وهو **معرفة حكم الله تعالى**، أو ما يعرف عند العلماء أنه «الفتوى في الدين» وهي الإخبار عن الحكم الشرعي عند السؤال عنه أو هي: «إجابة السائل عن الحكم الشرعي لتصرف ما».

والمراد به أمران، الأول: **بيان حكم الله تعالى في الحلال** ليقوم به المسلم، ويؤديه، ويطيع الله فيه، ويكسب فيه الأجر والثواب، ويسير على منهج الله ودينه، ويسعد في الدنيا والآخرة.

والثاني: **بيان حكم الله تعالى في الحرام** ليتجنبه المسلم، ويبتعد عنه، ويحذر منه، لئلا يقع في الإثم والذنب والمعصية، ولئلا يتعرض لسخط الله في الدنيا، ووقوع الشر والضرر والفساد عليه، ولئلا يصيبه غضب الله تعالى في الآخرة، والعياذ بالله.

وبيان الحكم الشرعي له مكانة رفيعة في الشرع، لأنه أهم وسيلة لبيان حكم الله تعالى في كل أمور الحياة، ولجميع الناس، فهو أمانة جسيمة، ومسؤولية خطيرة في الدنيا والآخرة، ليكون الناس على الصراط السوي الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

◈ أهمية ذلك وعمومه اليوم:

وهذا الأمر **مهم جداً**، ولأجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الحرام إلى الحلال، ومن الضلال إلى الهدى، ومن المعصية إلى الرضا.

وهذا الأمر **عام لجميع الناس**، وعلى جميع المستويات، ويشمل الخواص والمتعلمين والمثقفين إلى سائر عامة الناس.

وهذا الأمر **شامل لجميع شؤون الحياة**، الخاصة والعامة، الأسرية والاجتماعية، الإدارية والموضوعية، فالمسلم يسأل عن كل ما يتعلق به في الحياة منذ البلوغ، وحتى الموت، وما بعد الموت، وفي العبادات كلها، وفي المعاملات المالية، والأحوال الشخصية، والعلاقة بين الأقارب والأزواج والأهل والجيران والشركاء، وكل ما يتعلق بالحياة.

◈ وسيلة المعرفة:

إن الوسيلة سهلة جداً في ديننا، فليس لدينا أسرار دينية، ولا رجال كهنوت، وإنما لدينا علماء ومتخصصون في الشرع والدين، وهم الذين درسوا الأحكام الشرعية وتخصصوا بها، كما يتخصص أهل كل علم وفن في الطب والهندسة والاقتصاد والمحاسبة والصيدلة، واللغات، وسائر العلوم والفنون،

ليصبحوا مسؤولين أمام الله والمجتمع والأمة عن الجانب الذي اختصوا به.

وعلماء الشريعة مسؤولون عن بيان الأحكام للناس، تجاه واجبهم واختصاصهم، وتجاه دينهم وأمتهم ومجتمعهم، وهم كثر والحمد لله من كليات الشريعة والجامعات الإسلامية والمعاهد الدينية، ودروس المساجد الخاصة تؤهل هؤلاء ليؤدوا الرسالة التي حملوها، ويبلغوا الدين الذي صار في أعناقهم، ويسيروا على خطا النبي ﷺ في التبليغ والبيان، لأن العلماء ورثة الأنبياء، بل حذرهم رسول الله ﷺ من التقصير أو التباطؤ، فقال عليه الصلاة والسلام: «من سئل عن حكم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة» بالإضافة إلى الأحاديث والآيات التي تأمر بالتعليم وحمل الرسالة وأداء الأمانة، وخاصة قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ولكن هذا نصف الطريق والمشوار، والأهم من ذلك هو الشطر الثاني، وهو **السؤال من كل مسلم** للعلماء عن حكم الله تعالى، وهذا واجب ديني، بل هو فرض رباني، وأمر مقرر عقلاً وواقعاً، لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ولقوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» أي ومسلمة.

◈ أركان الفتوى:

وهنا تكتمل أركان المسألة من توفر **العلم أولاً**، ووجود **العلماء ثانياً**، وطرح **السؤال ثالثاً**، و**بيان الحكم الشرعي رابعاً**.

والسؤال مفتاح العلم، وهو واجب على كل من ليس بفقيه، أي كل شخص لا يعرف حكماً شرعياً في مسألة أو قضية فأكثر، ويسأل غيره عن

حكمها، وحتى العلماء يقومون بالسؤال لمن هم أعلم منهم، لأنه فوق كل ذي علم عليم، وقل ربي زدني علماً، وما حوى العلم جميعاً أحد لا ولو حصَّله ألف سنة، ومن هنا تأتي هيئة كبار العلماء، والإفتاء الجماعي، ودار الفتوى.

◈ المحاذير والأخطار في بيان الأحكام:

١- أهم هذه المحاذير والأخطار أن **يسأل غير العلماء، وغير المختصين في الدين،** فيفتوا بغير علم فيضلوا ويضُلوا، ولذلك حذر الرسول ﷺ من ذلك أشد تحذير فقال: «أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار» لأنه إخبار باطل، مع نسبته إلى الله تعالى، فهو قول على الله تعالى بغير علم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٩٣]، أي لا يوجد أعظم إثماً ومعصية من هذا، وقوله تعالى باستنكار ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

٢- **أن يتجرأ بعض الناس،** وهذا كثير، وابتلاء كبير، وشائع في الحياة، أن يبادر بعض الناس في أحاديثهم، ومناقشتهم، وحوارهم، بأن يقول في بيان الأحكام الشرعية «رأيي كذا» «أقول بكذا» «أعتقد كذا» ويزيد الطين بلة أن يقوم هؤلاء بأعمال على كيفهم ومزاجهم ويدعون أن هذا هو الشرع، وهذا هو الدين؟ فيؤولون النصوص والأحاديث حسب أهوائهم.

أيها الإخوة المؤمنون: إن الدين لا يمنع الناس عن إبداء آرائهم، والتحدث بما يشاؤون، ولكن يمنع أن يفتري الإنسان على الله الكذب، أو يدعي أن هذا حكم الله، أو أن يكون الدين والأحكام تبعاً لهواه، «فلا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

وإذا كان لا يعرف الحكم الشرعي، وهذا كثير، فعليه أن يسند ذلك

لأهل الاختصاص، وأن يقف عند حده، شأنه في ذلك شأن جميع العلوم، بالسؤال عن المختصين لأخذ العلم منهم، بل إن هذا شأن العلماء أيضاً فإذا سُئلوا عن حكم لا يعرفونه، قالوا: لا نعلم، لا ندري، وراجعوا المصادر والأعلم ليجيبوا فيما بعد.

٣- **المحذور الثالث**: وهو خاص بالعلماء، بأن يبينوا حكم الله تعالى **دون مواربة**، ودونى تزلف لسلطان أو حاكم، بأن يفتوا حسب أهواء الحكام، أو الأغنياء، أو حسب الرغبة والهوى، فهذا هو الضلال بعينه، وذلك لتسويغ الأعمال لأصحاب المال والسلطان للتقرب إليهم والزلفى، فيبيعون دينهم مقابل دنيا غيرهم، وهو ما يثير الشك والريبة بالعلماء، بل وسقوط هيبتهم ومكانتهم، ولذلك اشترط الفقهاء في المفتي العدالة ليكون ملتزماً التزاماً كاملاً بالشرع والدين، وبيان الحكم، لا يخشى في الله لومة لائم، أو يسكت على الأقل.

٤- **المحذور الرابع**: الذي يجب أن يتنبه له العلماء والمفتون هو **عدم التشدد في الفتوى وبيان الأحكام**، والتيسير ما أمكن -من خلال الشرع حتماً- حتى لا ينفر الناس من الدين، ولئلا يحملهم مالا يطيقون، وخاصة في الجائز والحلال والمشروع، ثم التنبيه إلى الأفضل والأورع والأتقى، أو التفريق بين الحرام الممنوع قطعاً وبين المكروه الذي يحسن تجنبه، ولكن لا يعاقب فاعله.

٦- **المحظور الخامس**: وهو ما يقع من كثير من الناس، وهو السؤال عن الحكم الشرعي، فإن كان الجواب **لغير مصلحته**، أو يخالف هواه، أو يجد فيه تكليفاً شرعياً وواجباً دينياً، فيسعى **للتهرب منه**، وذلك بالبحث عن عالم آخر، أو فقيه، لعله يفتيه بأسهل، أو بما يوافق مصلحته.

٧- **المحظور السادس: عدم الصدق والأمانة** من المستفتي في عرض المسألة أو الواقعة، لأن المفتي يخبر عن الحكم الشرعي بحسب ما سمع، وعلى الصورة التي عرضت عليه، ولذلك تكون المسؤولية هنا أمام الله تعالى على السائل والمستفتي، كالإخبار عن كلمة في يمين، أو في طلاق، أو عن حالة، أو عن واقعة، أو عن عقد.

ولذلك قال علماؤنا: «السؤال معاد في الجواب» وقالوا «الفتوى على قدر المستفتي» فإن غير وبدل كان كاذباً أولاً، لأنه يخبر على غير الواقعة، وبخلاف الحقيقة، ويكون مسؤولاً عن الفتوى والحكم ثانياً، ولا ينجيه من المسؤولية أن المفتي أعطاه الحكم، لأن المفتي يبين الحكم حسب الصورة التي عرضت عليه، وبحسب الظاهر، ولا يعلم الغيب، والله يتولى السرائر، ولذلك جاء في الحديث الشريف «استفت نفسك، وإن أفتاك الناس وأفتوك».